AIJLLS | MARCH 2019 | VOL 3 ISSUE 7
مجلة اللسان الدولية / العدد السابع (مارس 2019م/ 1440 هـ)
الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

جماليات الخبر في شعر عمر أبو ريشة –(دراسة بلاغية)

Gamaliyyaatul Khabar fi shier Umar Abu Risha- Dirasatun Balagiyyah

ياسر حسن العبدالله

Yaser Hasan Alabdulllah

الدكتور عبد الكريم أحمد محمد

Dr. Abdelkarim Ahmed Mohamed

قسم الأدب العربي والنقد الأدبي – جامعة المدينة العالمية– ماليزيا

topyas24@gmail.com abdelkarim.ahmed@mediu.my

ملخص البحث:

أراد الباحث من خلال هذه الرسالة إظهار جانب مضيء من جوانب الإبداع الشعري والفكري واللغوي عند شاعر اشتهر بين أقرانه ومتابعيه – بل بين كل من عمل في الحقل الأدبي – بأنه طرق كل مجالات الشعر وأغراضه وأنه استخدم اللغة كسلاح يناوئ به عن مصالح الأمة ومعول يشق به طريق نهضتها. فنراه قد تفنن في اللغة وأجاد فيها وغاص في أعماقها ليجد لكل موضوعٍ أسلوبا ومفردات وصورا تعبر عنه. وقد قام الباحث بتسليط الضوء على هذه الأساليب الخبرية في شعر عمر أبو ريشة وتحليلها وبيان مواضع الإبداع فيها و خروج هذه الأساليب إلى أغراض جديدة تعبر عما يعتمل في نفس الشاعر. وقد هدف الباحث من خلال هذا البحث إلى عدة أمور أهمها: تحديد أماكن تواجد هذه الأساليب في ديوان عمر أبو ريشة، وتوضيح المعاني التي أراد الشاعر التطرق إليها مستخدما الأساليب الخبرية في غير أغراضها الحقيقية. سيعتمد الباحث على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي (تحليل المضمون) من خلال تحليل ودراسة نصوص و أشعار من أعمال الشاعر عمر أبو ريشة لتحديد الأساليب الخبرية وتحديد أغراضها ، وفائدتها، ومواطن الإبداع فيها واستكناه دررها الفنية والإبداعية التي أوردها الشاعر.

ABSTRACT

The following rhetorical styles "predicate and compositional" are considered as a fertile area to express the emotions of the soul because they are linked to the strength of the

meanings found in the soul. It also has the diversity that allows the poet to express everything through it and in different styles whether it was close to the mind or not, explicit or hidden. This is the power of the eloquent word when it meets with the strong soul, the passion and the eloquent tongue.

In this message, I wanted to highlight these techniques in Omar Abu Risha's poetry, analyze them, explain their creativity and the emergence of these methods to new purposes that reflect what is happening inside the poet. Through this research, I aimed to several things such as:a. Determine the location of these styles in the collection of poems of Omar Abu Risha.b. Explain the meanings that the poet wanted to address using the predicate and the compositional styles in different ways than in their real purposes.

المقدمة :

الحمد لله خالق الإنسان معلم البيان ومنزل القرآن جاعل العقل نعمة والفكر موهبة و جعل ركائزها القراءة والاطلاع و سيفها العلم لنرقى إلى أسمى المعارف والعلوم، و الصلاة والسلام على معلم الناس الحكمة وحامل لواء الهداية للأمة محمد رسول الله وعلى آله و أصحابه، وبعد

نبغ في سوريا في مطلع القرن الماضي شاعر و كاتب و أديب فذ بزّ أقرانه و كان أيقونة زمانه، فخاض غمار الحياة وجاب الدنيا و عاش التجارب، انتقل و تنقّل في أنحاء العالم شرقاً وغرباً، من الشرق الأوسط مروراً بتركيا و حاضرتها اسطنبول وصولا إلى مدينة الضباب لندن فنهل من علمها و ثقافتها وعاش بين أهلها تجارها ثم منطلقاً إلى مدينة النور باريس حيث مشى في شوارعها الندية و تجول في مسارحها و صالوناتها الأدبية و خالط عوامها و خاصتها كل هذا و هو في العشرين من عمره، ثم خاض غمار السياسة و الأدب ممثلا لبلاده في محافل كثيرة من شرق الأرض إلى غربها و من سواحل أميركا إلى غابات البرازيل ثم إلى مهد الحضارة القديمة الهند، و هناك تشكلت رؤيته للحياة و للشعر ، فكتب في شتى مجالات الأدب و كان رائداً في مجالات أخرى مثل المسرح، وهنا جاء دور الباحث ليتناول بالدراسة والتحليل جانباً عظيماً من جوانب لغة عمر أبو ريشة الشعرية ألا وهي " الأساليب الخبرية " حيث سيقوم الباحث بحصر هذه الأساليب من خلال وجودها في ديوانه الشعري الذي سيتم دراسته ، و بيان أنواعها وأقسام كل نوع ثم دراسة أغراضها المباشرة و خروجها عن الغرض الأساسي إلى معانٍ بلاغية جديدة وبيان هذه المعاني و شرحها شرحاً وافياً و تحليلها ودراستها دراسة فنية، للوقوف على دورها و أثرها في بناء القصيدة عند أبو ريشة.

سوف تمتزج في هذه الرسالة الدراسة البلاغية بالدراسة الفنية، فحيث أن الشاعر لا يمكن أن يوصل فكرته أو يرسم صورته إلا من خلال تراكيب لغوية وأساليب بلاغية يصل المتلقي إلى فهم هدف الشاعر أو فكرته من خلال فهمه لهذه الأساليب، ويصل الشاعر إلى التعبير الحقيقي عن مكنوناته من خلال حسن استخدامه لهذه الأساليب.

جماليات الأسلوب الخبري في شعر عمر أبو ريشة

مهما اختلفت أساليب بناء التعبير اللغوي، وتنوعت طرق صياغة تراكيبه؛ فإنه لا يخرج عن كونه أسلوبا خبريا أو إنشائيا؛ والمسوغ لحصر أساليب التعبير في هذين القسمين من أقسام

الكلام؛ هو أن الكلام إذا كان محتملا للصدق والكذب، وصحّ أن يوصف قائله بالصادق أو الكاذب حسب نسبة مطابقة الكلام للواقع من عدمه سمي خبرا أما إذا كان لايحتمل الصدق والكذب، ولم يصحَّ وصف قائله بذلك، لعدم تحقق مدلوله في الواقع وتوقفه عند النطق به سمي إنشاءً[1].

وعليه فطبيعة التراكيب الخبرية والإنشائية ترتبط بشكل مباشر بالمتكلم والمخاطب وما يحيط بهما من ظروف خارجية؛ وهذا ما تطرق إليه البلاغيون القدماء في علم المعاني من تحليل لأغراض الكلام وأساليبه المتنوعة في التعبير دون إغفال أهمية السياق، وما يؤديه من دور في توجيه دلالة الخطاب أو ما كان يعرف بسياق الحال والمقام.

المبحث الأول: تعريف وفائدة الأغراض البلاغية للأسلوب الخبري.

أولا: تعريف الخبر

تدور مادة (خبر) في أصل وضعها اللغوي حول معنى العلم وسبل العلم، ثم استعملت بعد ذلك في معان أخرى لا تخلو من علاقة بالمعنى الأصلي لمادة الكلمة.

ويظهر ذلك في المشتقات من المادة، فتقول: خبرت الأمر، وخبرت بالأمر، أخبره إذا عرفته على حقيقته.

وأخبره بكذا وخبره: أعلمه. والخبرة: المعرفة، واختبره امتحنه. والاستخبار والتخبر: السؤال عن الخبر.

والخبرة-بضم فسكون-: العلم بالأشياء من جهة الخبر، والخبرة: المعرفة، وأخبر خبّورة: أعلمَ بشيء[2].

أما في الاصطلاح فقد تحدث عنه الإمام عبد القاهر الجرجاني [3] في كتابه دلائل الإعجاز حيث قال:" أعلم أن معاني الكلام كلها معان لا تُتصور إلا فيما بين شيئين، والأصل والأول هو الخبر.

ثانيا: أضرب الخبر:

للخبر الجاري على مقتضى ظاهر حال المخاطب ثلاثة أضرب هي: الابتدائي والطلبي والانكاري، وأساس هذا التقسيم إنما هو الحالة الذهنية للمخاطب"[4].

الأول: الضرب الابتدائي:" الابتداء الحقيقي هو أن يقع اللفظ في أول الكلام غير مسبوق بأي كلمة، نحو (العلم نور)."[5].
و الثاني: الضرب الطلبي: " وقد سمي طلبيا لأن المخاطب به متردد في تصديق مضمونه وطالب بلسان له معرفة حقيقية"[6].
" (إن كان) المخاطب(مترددا فيه) أي: في الحكم(طالبا له حسن

---

[1] هارون . عبد السلام محمد ، **الأساليب الانشائية في النحو العربي**، ط 5،ص 13.

[2] انظر مادة (خبر) في: **القاموس المحيط** (488/1) و**لسان العرب** (337/4).

[3] الجرجاني. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، من كتبه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز(أنباء الرواة، 188/1؛ سير أعلام النبلاء، 1433).

[4] قلقيلة . عبده عبد العزيز ، **البلاغة الاصطلاحية**، د.ط ، ص 131

[5] التونجي. محمد ، الأسمر. راجي ، **المعجم المفصل في علوم اللغة**، ، د.ط ، ج،1ص 10

[6] قلقيلة ، عبده عبد العزيز ، **البلاغة الاصطلاحية** ، د.ط ، ص133

تقويته) أي: الحكم (بمؤكد)."[7]. والثالث: الضرب الإنكاري: سمي إنكاري لأن المخاطب به منكر له ومعتقد خلافه[8]."وهو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكارا يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد.

ثالثا: الأغراض البلاغية للخبر:

الغرض الأول:فائدة الخبر " إفادة المخاطب بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية والمراد بالحكم المقصود إفادته وقوع النسبة في الخارج كما في القضية الموجبة، أو عدم وقوعها كما في القضية السالبة.

الغرض الثاني:لازم الفائدة: لا يقدِّم هذا الغرض جديدا للمخاطب وإنما يفيد أن المتكلم عالم بالحكم. ومن ذلك قولك لصديقك (زاركم أمس محمد)، فالمخاطب يعلم ذلك ولكن الغرض من هذه الجملة إخباره أن المتحدث عارف بذلك.

رابعاً: خروج الخبر عن مقتضى الظاهر

الأغراض المجازية للأسلوب الخبري تمثل نموذجا لخروج الخبر عن مقتضى الظاهر في الجمل، وقد نبه البلاغيون على أن الخبر غالبا ما يقصد به أغراض تتجاوز حدود الفائدة ولازمها([9]).

فيما يلي بعض متجهات تلك الوظائف (أي بعض الأغراض المجازية).

فمنها إظهار الضعف: قال تعالى: **{قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}** [10](البقرة:الآية249) أو الاستعطاف: قال تعالى **{رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي}** [11](القصص، الآية16) أو التحسر: قال تعالى :**{..رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى..}** [12] (آل عمران: الآية16) ، أو الوعظ: قال تعالى: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...}** [13](آل عمران:الآية185)

5- التذكير بالمراتب: **{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...}** [14](النساء:الآية95).

6- الوعيد: قال تعالى: {**وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**} [15](الشعراء:الآية227).

7- النهي: قال تعالى: {**لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**} [16] (الواقعة: الآية79).8- الأمر: قوله تعالى: {**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ...**} [17] (البقرة: الآية228).

9-إظهار الشماتة: من الأغراض التي يخرج بها الخبر عن غرضه الأصلي نحو القول: (هلك الظالم) و (زهق الباطل).

10- الفخر: كقول جرير يهجو الأخطل التغلبي:

---

[7]الفتازاني. سعد الدين مسعود بن عمر ، **المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**، د.ط ،ص 184

[8] المراغي ، أحمد مصطفى ، **علوم البلاغة** ط4، ص93

[9]الجويني. مصطفى الصاوي ، **المعاني(علم الأسلوب)** ، د.ط ، ص17

[10] **القرآن الكريم** ، **(البقرة:الآية249)**

[11]**القرآن الكريم** ، **(القصص، الآية16)**

[12]**القرآن الكريم** ، **(آل عمران: الآية16)**

[13]**القرآن الكريم** ، (آل عمران:الآية185)

[14]**القرآن الكريم** ، (النساء:الآية95).

[15]**القرآن الكريم** ، (الشعراء:الآية227)

[16]**القرآن الكريم** ، (الواقعة: الآية79)

[17]**القرآن الكريم** ، (البقرة : الآية 228)

إِنَّ الذِي حُرِمَ المَكَارِمَ تَغَلُّبًا

جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالخِلاَفَةَ فِينَا

مضر أبي وأبُو المُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ

يَا حِزْرَ تُغلب مِنْ أَبٍ كَأَبِينَا[18]

11 الإرشاد والنصح: كقول زهير:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ

على قومه يستغن عنه و يذمم

12- المدح: ومن أمثلة ذلك قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالمُلُوكُ كَوَاكِبُ

إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[19]

13- إظهار النعمة: كما في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: **{إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}** [20] (يوسف: الآية23).

فهذه الأغراض كلها تدور في رحى ثنائية الفائدة، ولازم الفائدة، باعتبارها الأصل الذي تجرى عليه أغراض الأسلوب الخبري، وقد يجيئ الخبر لأغراض مجازية كثيرة والمرجع في معرفة ذلك هو الذوق والعقل السليم.

المبحث الثاني: الأسلوب الخبري في شعر عمر أبي ريشة:

أ- بعض مواضع الخبر الابتدائي في شعر عمر أبو ريشة:

يصف لنا أبو ريشة في قصيدة " بسمة التحدي" مراحل موت الجندي على أرض المعركة فيقول:

سِلَاحُهُ عَلَى الثَّرَى مُبَعْثَرٌ.. مُحَطَّمُ

وَصَدْرُهُ مُمَزَّقٌ يَسِيلُ فَوْقَهُ الدم

فَحَوْلَهُ أَعْدَاؤُهُ تَلْعَنُهُ وَتَشْتُمُ [21]

فهنا إخبار عن شجاعة الجندي وسعادته رغم اقتراب لحظة لفظ نفسه الأخير وهو بذلك يحس بالإنتصار الذي يستفز الأعداء العاجزين عن الإحساس بالنصر حتى يروا مظاهر الحزن والهزيمة بادية على ملامحه، ولكنه مات وهو يبتسم. والشاعر إذ يلقي إلينا أخباره هذه يأتي بها خالية من أي أداة توكيد، لأن سامعه لم يكن مترددا ولا منكرا لما يلقيه عليه من أخبار، وعليه يكون **الخبر ابتدائيا**.

ولهذا الخبر أثر في نفسية الشاعر فهو ربما لم يكن جندياً في ساحة المعركة يحمل سلاحاً ناريا يواجه به أعداءه الذين يقفون في وجهه يظهرون عداءهم من خلال أطراف الأسنة و طلقات السلاح المذخرة ولكنه بكل تأكيد – أي الشاعر – جندي في ساحة الحياة يقف مدافعا عن هموم أمته في وجه أعداء أشد

---

[18] ناصر الدين، مهدي محمد، شرح **ديوان جرير** ، د.ط ، ص438-439

[19] النابغة، **ديوانه**، شرح وتعليق حنان نصر الحي ، د.ط ، ص14

[20] **القرآن الكريم** ، (يوسف: الآية23)

[21] أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 23

شراسة و امكر حيلا يخفون حيلهم خلف ابتسامات مصطنعة وملابس فاخرة و عبارات سياسية منمقة. فشاعرنا لم يلفظ الدم ولكنه لفظ الكلام و الشعر مدافعا في ساحات السياسة وصدره لم يتشقق عن دماء و أشلاء و لكنه تشقق عن أحلام و آمال وهموم أمته، فالعدو واحد يصطنع نفس الابتسامة ليخفي الخوف و الضعف أمام إرادة الشعوب ، و السلاح قد اختلف ولكنه مازال قادرا على تقطيع الآمال كما يقطع الأوصال.

أما من تلقى هذا الخبر في شعر أبي ريشة فقد أثار فيه حماسة الانتصار و الانتقام لذلك الجندي و السير على نفس النهج نهج الدعوة إلى الحرية والسير إلى تلك الحرية على دروب حمراء من دماء قانية نقية هي دماء الشهداء الأوائل ليكون المتلقي خير خلف لخير سلف.

ويقول أبو ريشة في قصيدة " فدائي":

بَيْنِي وَبَيْنَ المَوْتِ مِيعَادٌ

أَحُثُّ لَهُ رِكَابِي

هَذِي الرُّبُوعُ رُبُوعَ آبَائِي

وَأَجدَادِي الغِضَابِ[22]

يخبرنا الشاعر في هذه الأبيات عن الفدائي الذي يقدم نفسه فدىً للقضايا الكبرى، وفي مقدمتها قضية فلسطين، وهو لا يعبأ بحياته، ولا يقيم لها وزنا ما دام وطنه يرسف بالسلاسل والقيود، فهو لا يضع نصب عينيه سوى المقاصد البعيدة التي يسعى إليها وفي مقدمتها حرية وازدهار أمته، والشاعر يلقي إلينا هذه الأخبار خالية من أي أداة توكيد لأن السامع ليس منكرا ولا مترددا لما يلقى عليه من أخبار وعليه يكون ضرب **الخبر ابتدائيا**.

فأثر هذا الفدائي في نفس الشاعر أعظم الأثر، فالموت ليس أمرا غريبا بل هو حق محتوم نسير إليه كل يوم بمضي الساعات لكن السير نحوه سيكون أعظم إذا كان في سبيل الحرية و إذا كان سيدفن في هذه الربوع و هي حرة بين أجداث الأجداد الطاهرة، فهذه الرمال ليست مجرد رمال بل هي بقايا أرواح و أجساد الأجداد الذين سطروا ملاحم الفداء للدين والوطن والدعوة الإلهية تحت الراية المحمدية.

أما المتلقي فيقف من هذه القصيدة موقف المتأهب الفخور بالسير نحو الحرية و الدفاع عن تراثه الذي خلفه له جيل من الرجال الأشداء بعزيمة المؤمنين وقلوب الزاهيدن العابدين، فلا يهن ولا يتخاذل بل يسعى حثيثا نحو الشهادة والموت لكي تكتب لمن يأتي بعده الحياة، تلك الحياة المليئة بكل معاني الكرامة والاعتزاز بأنه لم يتنازل قيد أنملة عن بلاده أو تراب وطنه.

فرب حي بين البرايا قتيل

وشهيد تحت التراب يعيش

يقول الشاعر في قصيدته (في طائرة):

وَثَبَتْ تَسْتَقْرِبُ النَّجْمَ مَجَالًا

وَتَهَادَتْ تَسْحَبُ الذَّيْلَ اخْتِيَالًا

وَحُيَالِي غَادَةٌ تَلْعَبُ فِي

[22]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 29

شَعْرِهَا المَائِجِ غَنَجًا وَ دَلَالًا

طَلْعَةٌ رَيّا وَشَيْءٌ بَاهِرٌ

أَجَمَالٌ جَلَّ أَنْ يُسَمَّى جَمَالَا

وَتَجَاذَبْنَا الأَحَادِيثَ فَمَا

انْخَفَضَتْ حِسًّا وَلَا سُفَّتْ خَيَالَا

فَتَبَسَّمْتُ لَهَا فَابْتَسَمَتْ

وَأَجَالَتْ فِيَّ أَلْحَاظًا كَسَالَى[23]

استقل أبو ريشة الطائرة متوجها صوب الشيلي وكانت تجلس بجواره فتاة رائعة الجمال فابتسم لها الشاعر وبادلته التحية بمثلها ومن ثم تجاذبا أطراف الحديث وكانت في غاية الأدب والذوق وتجرأ شاعرنا وسألها من أي البلاد أنت؟ فأجابت بشموخ وعزة: من الأندلس؛ جنة الدنيا ثم أفاضت في ذكر أوصاف أجدادها أهل المروءات من العرب! وبالمقابل وجهت إليه السؤال نفسه: من أين أنت؟ فتلعثم ولم يدر ماذا يقول.والشاعر إذا يلقي إلينا أخباره هذه يأتي بها خالية من أي أداة توكيد، لأن سامعه لم يكن مترددا ولا منكرا لما يلقيه عليه من أخبار، وعليه يكون ضرب الخبر **ابتدائيا**.

لقد كان لهذا اللقاء أثر يفوق أثر لقاء رجل بامرأة جميلة، بل هو لقاء رجل يبحث عن بقايا تاريخه بخريطة تدله عليها، فتلك المرأة إثبات أن ذلك التاريخ الذي يبحث عنه أبو ريشة مازال موجودا شاهدا ليس فقط ببقايا قصور و قلاع وحمراء وزهراء بل هو باق بمن بقي من أحفاد أولئك الأجداد الغابرين بتلك العيون السوداء و الأحداق النجلاء التي حفظت تاريخها رغم محاكم التفتيش ومحاولات التطبيع، فالشاعر لن ينكر هذا الخبر ولن يؤكده بأداة توكيد لأنه مؤكد بكتب التاريخ و سير و الأمم والحضارات.

وفي قصيدة (شاعر وشاعر) التي ألقيت في الجامعة السورية بدمشق في المهرجان الألفي لأبي الطيب المتنبي، يقول:

مَأْتَمُ الشَّمْسِ ضَجَّ فِي كَبِدِ الـ

أُفُقِ وَأَهْوَى بِطَعْنَةٍ نَجْـلَاء

عَصَّبَتْ أَرْؤُسَ الرَّوَابِي الحَزَانَى

بِعصاب مِنْ جَامِدَاتِ الدِّمَاءِ

فَأَطَلَّتْ مِنْ خِدْرِهَا غَادَةُ اللَّيْلِ

وَتَاهَتْ فِي مَيْسَةِ الخُيَلَاءِ[24]

فالشاعر يصف لنا الطبيعة وهي تودع الشمس وداع الغروب ويعرض علينا حمرة الشفق وقد علت رؤوس الروابي وظلمة الليل وهي تفض هذه الحمرة وقد ظهرت النجوم أو كما يسميه عيون السماء كل ذلك يعرضه علينا والأشباح تطل علينا وعليه من كوة الوهم ونافذة الخيال الحالم. فالشاعر ألقى إلينا هذه الأخبار خالية من أي أداة توكيد لأن سامعه لم يكن مترددا ولا منكرا لما يلقيه عليه من خبر، عليه يكون ضرب **الخبر ابتدائيا**.

كانت الطبيعة دوما متنفس الشعراء يلقون عليها أحمالها و يوشحونها بهمومهم فيستعيرون لليأس ليلها و للأمل فجرها و لدنو الأجل غروبها، ليس أبو ريشة إلا واحدا ممن أسبغ على الطبيعة ما يعتمل في نفسه فهو في وصفه للغروب يصف غروب

[23]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 89

[24]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 580

الأمل في نفسه ومهابة الرجاء من التغيير المرجو في هذه الامة، ولكن لابد أن تجد في ظلمة اليأس من بارقة أمل فحتى في أشد الليالي حلكة وظلاما تظهر النجوم أشد بريقا منها في الليالي المقمرة. إنها الطبيعة التي تلهم الشاعر فيصدح بأعذب الألحان معنى و لفظا فتتكامل الصورة الجميلة المعبرة عندما تلامس أحاسيس المتلقي فهو لا يحتاج إلى جهد ليفهم ما تشير إليه كل صورة من صور الطبيعة فالأمل في نفس الشاعر و المتلقي ينبثق ضئيلاً من خلال ضوء النجوم في الليل الحالك، فبعد مأتم الشمس يأتي وقت التفكر في عظمة آية الليل و نجومه.

ويقول أبو ريشة في قصيدة (جان دارك):

نَادَتْ بِفَيْلَقِهَا البَتُولُ وَهَزَّ سَاعِدُهَا المُهَنَّدْ

وَعَدَتْ إِلَى حَرَمِ الجِهَادِ السَّمْحِ بِالعَزْمِ المُوطَّدْ

فَتَلَاحَمَ الجَيْشَانِ فَانْدَلَعَ اللَّظَى وَ الهُولُ أَرْعَدْ

هَذَا يَفِرُّ وَذَا يَكِرُّ وَذَاكَ يَصْعَـدْ

وَالمَوْتُ يَأْكُلُ مَا تُلَقِّمُهُ يَدُ الطَّعْنِ المُسَـدَّدْ

حَتَّى إِذَا نَالَتْ نَوَاجِذُهُ مِنَ الأَشْلَاءِ مَقْصَدْ

بَدَتِ البَتُولُ كَمَا بَدَا مِنْ كُوَّةِ الظَّلْمَاءِ فَرْقَدْ

تَخْتَالُ جَذْلَى بِالفَخَارِ وَعِزَّةِ النَّصْرِ المُخَلَّدْ[25]

استطاع الشاعر من خلال مقطع واحد أن يخبرنا عن نتائج المعركة وآثارها، فقد نادت البطلة جنودها فلبّوا النداء في البيت الأول، وسارت إلى ساحات الوغى في البيت الثاني، وتلاحم الجيشان في البيت الثالث، وفي الرابع وصف الكر والفرّ، والخامس لسقوط القتلى من الطرفين، والسادس لتكاثر الجثث، وانقشع البيت السابع عن هذه البطلة، وكأنها النجم يطلّ من كوة الظلماء، وفي البيت الأخير اعتزاز هذه البطلة بما أنجزت من انتصارات.

إن مطلب الحرية لا يختلف من شعب إلى آخر فهي غريزة إنسانية زرعها فينا الله عندما خلقنا، فكلنا نطمح إلى الحرية، وجان دارك طامحة مثل شاعرنا إلى حرية أمتها لذلك فقد استمالت مشاعر أبي ريشة ليقف في صفها دون نظر إلى جنسية أو انتماء أو دين، فكما أن للأديان حرم فإن للحرية حرم ربما كان عند بعض الناس أكثر أهمية وأعظم قيمة.

إن وحش الموت يمزق بأنيابه أجساد العبيد الثائرين و المستعبدين المستبدين لا يفرق بين لحوم هؤلاء أو أشلاء أولئك، ولكنها فقط هي وحدها جان دارك من أشرقت على ساحة المعركة كما تشرق شمس الأمل مختالة فخورة بانتصارها على ليل الظلم و اليأس، كذلك الساعون لا بدّ أن يأتي فجرهم.

إن الأمل الذي انسكب من هذه القصة في نفس الشاعر انتقل عبر كلماته وصوره إلى المتلقي، فهو يستلهم منها ذلك الأمل البعيد و المتلقي يستلهم من الشاعر نفس الأمل بزوال الألم و إشراق شمس الحرية.

يقول أبو ريشة:

نصرٌ على نصر أقض مضاجع الأبطال ذعرا

حتى إذا الوطن الأسير بدا من الأغلال حرا

هوت البتول المستميتة

[25]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 169

في يد الأعداء غدرا

فطغت سخائمهم كما لو

في الهشيم قذفت جمرا[26]

وتنتقل جان دارك من نصر إلى آخر في المقطع السادس إلى أن سقطت غدرا بيد الأعداء فانتقموا منها وأحرقوها في النار حيّة، أما المقطع الأخير ففيه وصف لها وهي في وسط النار وفي لحظاتها الأخيرة، والنار تلتهم جسدها عضوا فعضوا، ولكنها ظلت مرفوعة الجبين تصلي لربها صلاة المنتصر. فكل هذه الأخبار جاءت خالية من أدوات التوكيد، لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه وعليه يكون ضرب الخبر **ابتدائيا**.

يقول أبو ريشة في قصيدة (هكذا):

بَدَوِيٌّ أَوْرَقَ الصَّخْرُ لَـهُ

وَجَرَى بِالسَّلْسَبِيلِ البلْقعُ

فَإِذَا النَّخْوَةُ وَالكِـبَرُ عَلَى

تَـرَفِ الأَيَّامِ جُرْحٌ مُوجِعُ..

هَانَتِ الخِيلُ عَلَى فُرْسَانِهَـا

وَانْطَوَتْ تِلْكَ السُّيُوفُ القُطَّعُ[27]

يحكي الشاعر بوساطة ضمير المفرد الغائب (هو) حكاية بدوي أنعمت عليه الحياة بالمال من حيث يدري ومن حيث لا يدري، وكان لهذا المال سلطان عليه، فحوله من إنسان كان يتغنى بالمروءات والقيم، وكانت المروءة العربية تدب في أوصاله، إلى رجل تخلى عن أصوله وعاداته وتقاليده، ونسي واجباته الوطنية والقومية، ليعيش حياة بوهيمية، فانغمس في لذائذه الشخصية، وأنفق أمواله في غير أماكنها، ولذلك أنهى الراوي القصيدة ببيتين ساخرين قائلا:

وَالبُطُولَاتُ، عَلَى غُرْبَتِهَا

فِي مَغَانِينَا، جِيَاعٌ خُشَّعُ

هَكَذَا..تُقْتَحَمُ القُدْسُ عَلَى

غَاصِبِيهَا...هَكَذَا تُسْتَرْجَعْ[28]

ففي هذه الأبيات إلقاء للخبر إلى مخاطب خالي الذهن من حكمة لذلك جاء **الخبر ابتدائيا** من غير توكيد.

إن التنصل من المسؤولية تجاه الوطن يعد من أعظم الخيانات التي يمكن أن يقوم بها الإنسان فالأخ ينصر أخاه ويرد الظلم عنه و هذا واجبه فإذا تنصل الأخ من هذه المسؤولية أوقع إخوته فريسة الغاصبين، فيلوم الشاعر هنا تخاذل إخوته وما هذا التخاذل إلا نتائج ثراء دنيوي مفاجئ ألم بهم ففضلوا التمتع بنعيمه على أن يستخدموه لنصرة قضايا أمتهم، فالنخوة صارت حرجاً في جنوبهم فهي لا زالت موجودة و إن هم حاولوا إخفاءها، أما خيولهم فقد هانت وصارت للعب لا للتعب و سيوفهم انطوت خجلة من هذه الحياة التي خلت من كل قيم البطولات، فالبطولات تتغذى على الحمية و النخوة و التصدي

(26) أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 171

(27) أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 25

(28) أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 27

لصنع الملاحم برفع الظلم و صيانة الوطن ونهضة الأمة، فإذا أقفرت بلادنا من القيم وازدهرت بالنعم أصبحت البطولات كنفس شاعرنا جائعة لمعركة تُرد فيها الحقوق المغتصبة و أولها القدس الحبيبة.

ب- بعض مواضع الخبر الطلبي في شعر عمر أبو ريشة:

يقول أبو ريشة عن حب أخفق فيه بعنوان (حاقد):

وَزُرْتُهَا أَمْسِ فَقَدْ قِيلَ لِي

مُوجِعَةٌ أَخْنَى عَلَيْهَا الزَّمَانْ

أَلْفَيْتُهَا تَلْفِظُ أَنْفَاسَهَا

وَمُقْلَتَاهَا فِي المَدَى تَسْبَحَانْ

وَحَوَّلَتْ صَوْبِي طَرْفَيْهِمَا

كَأَنَّمَا بِالصَّمْتِ يَسْتَغْفِرَانْ

خَانَتْنِي الجُرْأَةُ .. لَمْ تَخْتَلِجْ

عَلَى شِفَاهِي هَمْسَةٌ مِنْ حَنَانْ[29]

زار الشاعر من كان بالأمس يحبها، وهي ترقد بالمشفى، وهي في حالة يُرثى لها، ولما أحست به جالت النظر فيه وكأنها تستغفر وتندم على ما اقترفته في حق الشاعر، لكنه لم يستطع أن يغفر لها ما كان منها تجاهه، لأن حقده مازال يتأجج في صدره.فجاء الخبر **طلبيا** مؤكدا ب (قد) ليزيل الشك والتردد عن المخاطب في في قبوله له.

إن من أصعب المواقف الإنسانية هي المواقف التي يحتاج فيها الإنسان إلى السيطرة على مشاعره، فالمشاعر غير خاضعة لسلطان العقل و تظهر حقيقتها في ردود الأفعال، فكما أن الانتقام يحتاج إلى شجاعة فكذلك الغفران يحتاج إلى قوة وجرأة، فإن إطلاق سيل المشاعر الغاضبة سهل لكن كبح جماحها هو ما يحتاج إلى حكمة وتعقل، فليس الشديد بالصرعة بل الشديد الذي يمسك نفسه عند الغضب، فشاعرنا لم يمتلك الجرأة على أن يحارب مشاعر الحاقد في صدره فاستسلم لجبنه وصمت عن كلمة " الغفران".

وفي قصيدة (نسر) يقول عمر:

أَصْبَحَ السَّفْحُ مَلْعَبًا لِلنُّسُورِ

فَاغْضَبِي يَا ذُرَى الجِبَالِ وَثُورِي

إِنَّ لِلْجُرْحِ صِيحَةً فَابْعَثِيهَا

فِي سَمَاعِ الدُّنَى فَحِيحَ سَعِيرِ [30]

يقدم لنا الشاعر في صدر البيت الأول فكرة غير منطقية ممهدا لنكرانها والثورة عليها لتصحيح الأمر، فالنسر ملعبه ليس في السفح وإنما في الأعالي والقمم المرتفعة، لذا فهو يطلب من القمم الثورة والغضب.

فحين يتنازل الإنسان عن طموحه وينسى أو يتناسى تاريخه التليد ويرضى بالهوان بعد العز لابد من أن يقوم هذا التاريخ بالثورة على وارثه فإما أن تكون أهلا لما جاءك أو أن تختفي من الوجود و تترك لمن يستحق أن يحمل هذا العبء ويواصل هذا النهج.

[29]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 23

[30]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 158

ويقول في قصيدة (خداع):

أَرَى بَيْنَ جَفْنَيْكِ جِسْرَ الدُّمُوع

تَسِيرُ عَلَيْهَا طُيُوفُ الأَلَـمْ

أَتَخْشَيْنَنِي؟ إِنَّ أَمْسِي انْطَوَى

فَلَا تَشْرَبِيهِ خَضِيبَ الدِّمَمْ

فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ، إِذَا مَا التَفَتِّ

إِلَيْهِ، سِوَى غُصَصٍ مِنْ نَدَمْ

فَلَا تَتْرُكِينِي عَلَى صَبْوَتِي

طَلِيقَ الأَمَانِي كَسِيحَ القَدَمْ[31]

فليس للمجد جراح فهو شيء معنوي، جسّمه الشاعر ليدلل على قسوة الاستعمار وكراهية المستعمر، وأن الجرح الذي يسيله الاحتلال في نفوس الناس أشد إيلاما من الجروح المادية.

فالألم معنوي يسير على محسوس هي الدموع، و الأمل الماضي قد ذهب فلم يعد الشاعر يخشى ولا أفعاله تحسب فليس هناك في داخله سوى الندم، وحتى لو بقي شيء من الأماني في داخل الشاعر فإن انتفاء القدرة على الفعل أو رد الفعل جعلت من هذه الأماني مجرد عبء ثقيل على كاهل الشاعر فهو كالكسيح الذي يحمل حلما ولكن لا يملك قدرة على أن يحققه.

فجاء الخبر في القصيدتين **طلبيا** مؤكدا بـ (إن) ليرفع الشاعر عن المخاطب الشك بتأكيد الجملة بـ (إن).

ويقول في قصيدة " طلل" :

قِفِي قَدَمِي! إِنَّ هَذَا المَكَانْ

يَغِيبُ بِهِ المَرْءُ عَنْ حِسِّهِ

رِمَالٌ وَأَنْقَاضُ صَرْحٍ هَوَتْ

أَعَالِيهِ تَبْحَثُ عَنْ أُسِّهِ

أُقَلِّبُ طَرْفِي بِهِ ذَاهِلًا

وَأَسْأَلُ يَومِي عَنْ أَمْسِهِ[32]

مرّ الشاعر بصرح روماني قديم لا يستطيع غير الظن أن يتحدث عن ماضيه واسترعى انتباهه خلوه من الشوك و تألق ترابه النظيف فقال في نفسه أن الموت يقف أمام ضحيته مجروح الكبرياء لأنه لا يستطيع أن يفتك بها أكثر مما فتك. أما أعالي تلك الأنقاض فإنها في سقوطها و انحنائها تبدو كأنها تبحث عن أساسها الذي ضاع في التراب، وكل من عركته الدنيا وقست عليه لابد أن يعود ليبحث عن الأساس فهو الحقيقة التي لا يمكن للوهم أن يغيبها.

وهو إذ يلقي إلينا هذه الأخبار استخدم حرف (إن) الدال على التوكيد وعليه يكون ضرب الخبر في هذه الأبيات **طلبيا**.

حين نقلب في قصائد الشاعر نجد أن شاعرنا يعيش في شخصيتين و في حالتين و في عصرين، شخصية مازالت تتمسك بحالة البطولة و الشمم في العصور المشرقة التي مضت وشخصية تعيش عالمنا وعصرنا، وقد اقتسمت كل شخصية منه جزءا يناسبها و تناسبه فأخذت الأولى روحه وعقله وشاعريته و أخذت الثانية جسده و أحاسيسه، فخاطب شاعرنا قدمه التي

[31]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 382

[32]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 125

أرادت المضي بعيدا عن هذه الذكريات المؤلمة خطاب الغريب ملتمسا منها أن تأذن له ببضع دقائق في حضرة التاريخ و الحضارة فيقدم لنا أجمل وصف عن عجز الموت عن الإجهاز على ضحيته فإنه وإن ألغى وجودها المادي فمازالت تقف شامخة كأنها قد بنيت البارحة و كأن أهلها لا يزالون يبدعون الأبجديات ويخطون بالمسامير على ألواح الطين شعرا ونثرا وعلوما.

وفي قصيدة أخرى للشاعر يقول:

يَا لِلرِّئَاسَاتِ كَمْ عَزَّتْ مَفَاتِنُهَا

وَكَمْ كِبَارٍ عَلَى إِغْرَائِهَا صَغِرُوا

نَامُوا عَلَى بَهْرَجِ الدُّنْيَا وَمَا عَلِمُوا

أَنَّ الفَرَاشَ عَلَى المِصْبَاحِ يَنْتَحِرُ

فالشاعر هنا يسخر من الحكام وأصحاب السلط والمناصب العليا، الذين أعمتهم بهرجات الدنيا وأصبحوا صغارا بعدما كانوا كبارا، فانشغلوا بملذات الحياة وبتلبية رغباتهم الخاصة بدل النظر في شؤون الناس، والقيام بما أوكِلوا به من أعمال بتفاني وإخلاص، فيشبههم بالفراش الذي يظل يحوم حول المصباح حتى يسقط ضحية له، ويؤكد لهم أن هذا ما سيحدث لهم إذا استمروا في جشعهم وظلوا يجرون وراء ملذات زائلة، وبما أن الخبر في هذا البيت جاء مؤكدا بمؤكد واحد هو (إن) فإن ضرب الخبر يكون **طلبيا**.

وقريب منه قول أحمد شوقي :

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ

فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

وقوله أيضاً:

وَإِذَا أُصِيبَ القَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ

فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلَا

ويقول في رثاء ابن أخته في قصيدة بعنوان (لوعة):

خَطُّ أُخْتِي لَمْ أَكُنْ أَجْهَلُهْ

إِنَّ أُخْتِي دَائِماً تَكْتُبُ لِي

حَدَّثَتْنِي أَمْسُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ

مَضَضِ الشَّوْقِ وَبُعْدِ المَنْزِلِ

ما عساها اليوم لي قائلة

أي شيء يا ترى لم تقل

وفضضت الطرس لم أعثر على

غير سطر واحد .. مختزل

ما لها تنحرني نحرا على

قولها .. مات ابنها مات علي[33]

استلم الشاعر وهو في الغربة خطابا من أخته التي يربطه بها رابطة قوية وكثيرا ما تأتيه بأخبار الأهل وبأشواقهم، لكن اليوم كان خطابا من نوع آخر، لم يشتمل إلا على سطر واحد كتب على

[33]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 393

استعجال وبخط غير واضح وبصعوبة تبين المفاجأة أن ابن أخته "علي" قد مات، ونلاحظ أنه استعمل أداة توكيد واحدة هي (إنَّ) وعليه يكون الخبر **طلبيا**.

فالموت قريب من الشاعر وإن بعد عنه في المكان فالموت لازال قادراً على أن يغتال مشاعر الشاعر دون جسده، إن سطراً واحدا يحمل نبأ الموت قادر على أن يزلزل أركان الشاعر من أساسها فلا أصعب من فقد عزيز إلا فقد عزيز و أنت عنه بعيد حيث لم تستطع أن تسمع آخر كلماته و أن ترسم في عينه صورتك وأنت تودعه لتخبره أنك ستعتني بأمه المسكينة من بعده وأن أحلامه ستتحقق وإن لم تكن بيديه، يتحدث الشاعر عن سطرٍ وحيد كتبته أخته المكلومة بولدها أخته الشاعرة لم تقدر إلا على سطر وحيد يتيم سطر يشبه ما بقي عندها بعد فقد ولدها، فعلاقة الشاعر بالفقيد لم تكن فقط علاقة الخال بابن أخته بل كانت علاقة الصديق بصديقه فعلي الفقيد قد باح لخاله بأحلامة وأمانيه و طموحاته والآن يفقد كل ذلك ولا يبقى سوى سطر يتيم يحاول أن يختصر كل تلك العلاقة الطويلة العميقة بخبر من كلمتين " مات علي ".

يقول الشاعر مخاطبا محبوبته التي كانت تحاول الهروب منه:

قِفِي لَا تَخْجَلِي مِنِّي

فَمَا أَشْقَاكِ أَشْقَانِي

كِلَانَا مرَّ بِالنُّعْمَى

مُرُورَ المُتْعَبِ الوَانِي

وَغَادَرَها كَوَمْضِ الشَّوْقِ

فِي أَحْدَاقِ سَكْرَانِ[34]

فقد كانت تخجل منه كلما مر بها فأوقفها مرة، ورد إليها رسائلها التي كانت تبعث بها إليه طالبا منها نسيان الماضي بأحلامه وآماله في كلمات ملؤها الرقة والعذوبة، وهو إذ يخاطبها يؤكد لها باستعمال (كِلَانا) أنه أيضا تجرع مرارة الحب وعاش مثل ما عاشته من شقاء.وعليه يكون نوع الخبر الوارد في هذه القصيدة **طلبيا**، فهو يطلب منها أن تصدق أنه يشاركها نفس التجربة مع الحب فلا داعي أن تخجل منه وتتجنب لقاءه.

إن الأيام السعيدة تمر مرّ السحاب تمطر أرض المشاعر القاحلة فتحيلها إلى جنة مورقة فإذا انقطعت عنه أحالتها من جديد جدبا، وشاعرنا قد عانى من الحب كما عانت و قد قاسى من الأشواق ما قاست فلس الهجر منها إلا خاتمة تختصر كل هذه الآلام إلى سكون، فيطلب منها ألا تخجل من أنها أنهت علاقتهما فكل شيء مقدر له أن ينتهي وليست علاقتهما باستثناء من هذا، فما هذه العلاقة إلا سكرة أحالت له المستحيل ممكنا فلما أفاق من هذه السكرة كانت كوميض في ليلة حالكة انتهى بانتهائه كل ما كان بينهما.

وفي موقف آخر يقول في قصيدة بعنوان (عودي):

قَالَتْ مَلَلْتُكَ اِذْهَبْ لَسْتُ نَادِمَةً

عَلَى فِرَاقِكَ ..إِنَّ الحُبَّ لَيْسَ لَنَا

سَقَيْتُكَ المُرَّ مِنْ كَأْسِي شُفِيتُ بِهَا

حِقْدِي عَلَيْكَ وَمَالِي عَنْ شَقَاكَ غِنَى[35]

---

[34]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 312

[35]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 202

وتأكيد الخبر جاء هذه المرة من محبوبة الشاعر التي أكدت أن الحب ليس لهما وأنها لن تعود إليه مجددا، وهذه تجربة أخرى للشاعر نال فيها ما نال من الطرد والإهانة، ولم يستطع أن يرد عليها لهول الموقف وقد أصابته الدهشة والغصة، وانعقد لسانه أن يتفوه بكلمة، وترك حجرتها وهي تكيل إليه الشتائم والحقد.

يقال لا كرامة في الحب فليس أقدر على كسر الكرامة من الحب والعشق والهوى فإنه يذهب بمروءة الرجال والنساء ولكن ليس شاعرنا من ذلك النوع فكل ما عاناه من تجارب قاسية في الحب جعلته أقدر على أن يتخلى عن كل ما يجرحه فهو قد غادر وطنه حبه الأول و الأخير فهل سيعود إلى فراش امرأة؟ وربما تكون المرأة في هذه القصيدة عزيزة عليه لدرجة أن ألم فراقها أنساه ألم البرد وقسوة الشتاء ولكنه لم ينسه كرامته و مروءته فلم يلتفت إليها و لم يرجع.

وفي قصيدة أخرى يقول واصفا وطنه:

صَدَقَ الحُبُّ إِنَّ مَوْطِنِي الأَجْرَدْ

رَوْضِي وَجَدْوَلِي وَدِنَانِي[36]

فلقد وصف الوطن أنه أجرد أي صحراء قاحلة وهي القيمة التي يعتز بها الشاعر كثيرا ويفتخر، فعلى الرغم أن موطنه أجرد من حيث الطبيعة والمادة، إلا أن الشاعر يصوره لنا روضا وحدائق وبساتين وأنهارا ودنانا للسقيا، فالوطن عنده ليس ماءً ونباتا، إنما هو التاريخ والإنسان. والشاعر يلقي إلينا هذا الخبر مدعما بأداة التوكيد (إن) وعليه يكون ضرب الخبر **طلبيا**.

ت- بعض مواضع الخبر الإنكاري في شعر عمر أبي ريشة:

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان (عزاء):

أَمَا الصِّبَا فَلَقَدْ مَرَّتْ لَيَالِيهِ

فَابْكِيهِ يَا عِفَّةَ الجِلْبَابِ فَابْكِيهِ

ملكت قلبك عن روض الهوى زمنا

واليوم روض الهوى غيضت سواقيه

بالأمس أن جئت أبدي ما أكابده

لويت جيدك عما جئت أبديه

وما رثيت لدمع كنت أذرفه

ولا عطفت على جرح أعانيه

واليوم جئتك .. لا صبا ولا كلفا

بل للجمال الذي يذوي أعزيه![37]

عبر الشاعر في هذه القصيدة عن فتاة أحبها، لكنها لم تبادله تلك العاطفة، وحينما كان يظهر لها معاناته ولواعجه، كانت لاتأبه بذلك، وتنصرف عنه، وبعد تقدم العمر وتغير الحال، جاءها عمر وكالعادة ببيت المفاجأة لم يأت محبا، يشتكي وصباً، وإنما جاء يعزيها ويشمت للجمال الذي ولّى، فحين كانت رياض الشباب تتدفق بالجمال وبالصبا صدته عنها وتركته يعاني عطش العاشق إلى أن يرتوي بماء الوصل، فالشاعر قد عانى من زمانه ما عانى ولم يخضع ولم توهنه أثقاله فكيف يوهنه فراق الأحبة أو غدر العشيقات، فهو يعرف أن الصبا لن يدوم وأن الجمال لا بدّ أن يذهب به الزمن وتقادم الأيام، فجاء الخبر

[36]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 539

[37]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 385

مؤكدا بـ (لام القسم المتصلة بقد) لا لتأكيد الخبر لمعناه ولكن لحاله فمرور الأيام أمر واقع لا يمكن لأحد أن ينكره و لكنه أراد أن يؤكد لها أن شعوره بذهاب جمالها حقيقة واقعية لا يمكن أن تخفيها مساحيق التجميل أو عبارات الإطراء، وعليه يكون ضرب الخبر **إنكاريا**.

يقول أبو ريشة:

إِنَّهَا حُجْرَتِي لَقَدْ صَدِئَ النِّسْيَانُ

فِيها وَشَاخَ فِيهَا السُّكُوتُ

ادْخُلِي بِالشُّمُوعِ فَهِيَ مِنَ الظُّلْمَةِ

وَكْرٌ فِي صَدْرِهَا مَنْحُوتٌ[38]

يعبر الشاعر في هذه القصيدة عن الوحشة والإهمال والخراب الذي يحيط به فغرفته تبدو وكأنها مهجورة بسبب انعدام زيارتها من الجميع. حتى الصمت الذي يستوطن الفراغ و ينمو ويزدهر فيها قد أصابته الشيخوخة فالفراغ في غرفته قاتل وكئيب فكل عناصر الغرفة تنشر في نفس من يدخلها اليأس وأن مصير من يدخله النسيان، ويؤكد أن حجرته أصابها النسيان حقا باستعمال أكثر من مؤكد فقد استعمل: (إنها و لام القسم المرتبطة بقد). وعليه يكون الخبر **إنكاريا**.

يقول الشاعر في رثاء حافظ إبراهيم:

وَلَقَدْ نَاضَلَ الحَيَاةَ وَلَكِنْ

سِلَاحُ الأَيَّامِ فَوْقَ سِلاحِهِ

يخبرنا الشاعر أن حافظ إبراهيم كانت لديه الكثر من الرغبات والأمنيات ولقد سار في تحقيقها ولكن الظروف سارت عكسه، فلم يحقق أيًّا من مبتغياته ومات وترك أحلامه وراءه. ولقد استعمل في هذا الخبر أداة التوكيد قد المتصلة بلام القسم. وعليه يكون الخبر **إنكاريا**.

ث- ***بعض مواضع فائدة الخبر في شعر عمر أبو ريشة:***

كتب الشاعر بعد عودته من العراق قصيدة بعنوان (انتقي لي حكاية)، بطريقة درامية تتضمن حكاية وراويا لهذه الحكاية (حبيبته)، وعنصر تشويق ليبتعد بأصحابه عن الضجر من الحكايات المألوفة، ويحاول أن يهرب من الإجابة التقليدية فيستعين بحبيبته قائلا:

عُدْتُ مِنْ نِينْوى، فَخَفَّ صِحَابِي

لِسَمَاعِ الغَرِيبِ مِنْ أَسْفَارِي

كُلُّهُمْ خَاشِعٌ يُقَلِّبُ فِيَّ الطَّرْفَ

بَيْنَ الإِعْجَابِ وَالإِكْبَارِ

عُدْتُ مِنْ عَالَمٍ تَأَلَّقَ فِي

عَيْنَيْنِ فَيَّاضَتَيْنِ بِالأَسْرَارِ

كَثُرَتْ فِيهِمَا حِكَايَاتُ نُعْمَائِي

وَعَزَّتْ وَحَارَ فِيهَا اخْتِيَارِي

مَا تُرَانِي يَا بِدْعَةَ الحُسَنِ أَرْوِي

[38]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 205

لِصِحَابِي وَكُلُّهُمْ فِي انْتِظَارِي

انْتَقِي لِي حِكَايَةً، رُبَّمَا شَكَّ

صِحَابِي فِي الصِّدْقِ مِنْ أَخْبَارِي [39]

ولو لم يكن لهاتين المدينتين أثر كبير وقيمة تاريخية في وعيه الثقافي، لما احتلت حيزا أدبيا في أعماله، لذا نراه متخبطا بإجاباته، فاستعان بحبيبته تختار له حكاية مناسبة تليق بهذا الأثر والقيمة. إن بابل هي رمز الفتنة والإغراء، رمز الترف الدافق. أما نينوى فهي رمز الشقاء والحزن والخراب، ولعل المشاعر المأساوية التي خيمت على الشاعر وتغلغلت في أعماقه لسبب ما، هي التي دفعته وبرغبة عارمة إلى استدعاء الذكريات الممزوجة بالتخيلات بحثا عن توازن مفقود، إن هذا هو تاريخ أرضنا فنحن بين خير دافق أو آية من عذاب ومن مثلنا وأي أرض تحتضن في ترابها وبين طيات آثارها وخرابها حكايات خرافية وأساطير ملحمية صاغت تاريخ الأدب وتاريخ الحكاية، ووضعت قواعد القصة والرواية، ها هو يعود من أرض الملاحم فيعجز عن رواية قصة واحدة دون أن تكون محل تشكيك سامعيها فيستعين بحبيبته كي تحيك له قصة منطقية من أرض حقيقية بعيدا عن أرض الخيالات و الخرافات والمعجزات.

يريد الشاعر أن يفيدنا بما لم نكن نعلمه عنه : هي زيارته للعراق وبالتحديد بابل ونينوى، قاصدا بذلك الحكم الذي تضمنه الخبر لذلك فإن الغرض منه (فائدة الخبر).

يقول الشاعر في قصيدة (أوغاريت):

يَا رَوْعَةَ المَاضِي البَعِيدِ المُسْتَسرِ المُبْهَمِ

مَالِي أَرَاكِي كَئِيبَةَ

النَّظَرَاتِ لَمْ تَبْتَسِمِي

هَذَا الذُّهُولُ يَنِمُّ

عَنْ ذَاكَ الجَوَى المُتَكَتِّمِ

أَنَا يَا ابْنَةَ الأَمْجَادِ مِثْلَكِ

وَاقِفٌ فِي مَأْتَمِي

أَنَا مِنْ بَقَايَا أُمَّةٍ

هِيَ وَالعُلَا مِنْ تَوْأَمِ

عُودِي إِلَى حَرَمِ الغَيَاهِبِ

وَاهْجُعِي..لَنْ تَنْدَمِي [40]

وقف الشاعر بين آثار مدينة "أوغاريت" متأملا آثارها ورأى أن أطلالها تشبه أطلال أمته التي أثقلت عاتقها أطماع الاستعمار وسياسات الحكام الجائرة، ورأى أيضا أنه في ذهولها شيئا يشبه حزنه على واقع أمته المخزي، فأخذ يستنطق ذكريات هذه المدينة ويلقي إليها بأسئلة لوم وعتاب، فتجيبه بإجابات تشفي ذهولها وحزنه، هذا وقد امتلأت إجاباتها التي كانت بلسان حاله بالافتخار بتاريخها المتألق وانتصاراتها المتلاحقة عبر العصور، وحاول أن يستنهض أركانها كي تعود إلى ماضيها العريق، وتأخذ منه الثقة بأصالتها وعراقتها، كم كانت تلك الطلول عظيمة فيما مضى!

[39] أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 280

[40] أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 123

يخبرنا الشاعر عن زيارته لمدينة أوغاريت السورية والحوار الذي دار بينهما، فالمخاطب جاهل بهذه الأخبار ولأجل ذلك فإن الغرض من إلقائها هو (فائدة الخبر).

ج- ***بعض مواضع لازم الفائدة في شعر عمر أبو ريشة:***

استحضر عمر أبو ريشة مكة المكرمة في قصيدة (من ناداني) مسدلا على هذه المدينة ثوبا من أسمى المعاني، هذا وقد عرج على ذكر حادثة انتصار المسلمين بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم على المشركين وتحطيم الأصنام، يقول: **وَتَجَلَّتْ إِلَيَّ مَكَّةُ فِي أَكْرَمِ**

مَجْلَى وَفِي أَجَلِّ كِيَانِ

خَلَتِ الكَعْبَةُ الوَضِيئَةُ مِمَّا

نَشَرَتْهُ الأَهْوَاءُ مِنْ بُهْتَانِ

وَانْجَلَتْ عَنْ سَمَائِهَا غَيْمَةُ الشِّـ

ـرْكِ وَمَاجَتْ أَرْجَاؤُهَا بِالأَذَانِ

ففي الأبيات أعلاه لايريد المتكلم (الشاعر) أن يفيد المخاطب الحكم الذي تضمنه الخبر، فالأخبار التي قدمها هي معلومة لدى الجميع، فالمخاطب يعلم مضمون الخبر لكنه يجهل أن المتكلم يعلمه وعليه فإن الغرض من الخبر لازم الفائدة.

ح- **خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في شعر عمر أبو ريشة:**

كثيرا ما يخرج الخبر عن مقتضى الظاهر ليؤدي معان جديدة تجتاح نفس الشاعر المرهف، فيبدو أثرها جليا على الشاعر و يمتد أثرها ليعبث في نفس من يتلقاها فتثير ناراً تحت الرماد كان يظنه انطفأ، ومنه قوله في قصيدة " عام جديد ":

وحدي ، هنا ، في حجرتي

والليل والعام الوليد

والكاس والغصص الحرار

وغربة الحلم البعيد

وتساؤل القلق المرير

ووطأة الصمت المديد[41]

فالشاعر يستقبل العام الجديد لا كما يستقبله كل الناس بالاحتفال والفرح والسعادة ليملؤوا حياتهم بالأمل في أن القادم أفضل ولكنه يستقبله بالحسرة و التوجع على أيام مضت لم يستطع أن يجمع حوله من يحتفل معه بهذه المناسبة الجميلة، فرائحة التشاؤم تملأ غرفته التي امتلأت ببطاقات تهنئة جاءت من بعيد لتسكن خيالات أصحابها غرفته دون مرسليها، فخرج الخبر هنا إلى **التحسر والتوجع** على حالة الوحدة التي يمر بها.

يالها من غصة حرة يحسها كل مغترب عندما يقرأ هذه الأبيات فهي تعبير حقيقي عما يعانيه المغتربون بعيدا عن أهلهم و أحبابهم الذي اعتادوا أن يجتمعوا معهم في مثل هذه المناسبات، فكل مفردات القصيدة تمتلأ بالحسرة والألم من "الليل" إلى "الغصص "إلى "البعد" إلى "الصمت المرير".

[41]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 63

أما قوله في قصيدة " يا عيد " :

سينجلي ليلنا عن فجر معترك

ونحن في فمه المشبوب تغريد[42]

نجد أن الأمل بعودة الأيام المجيدة لهذه الأمة بات أقوى وأكثر تاكيداً، ففي هذا البيت استنهاض للهمة ودعوة للأمل وما أحوجنا لمثل هذه الدعوة فالليل لابد زائل ومعركة الكرامة لابد آتية تحمل معها فجر الحرية و تغاريد النصر، فخرج الخبر هنا عن مقتضى الظاهر إلى **استنهاض الهمة** و الدعوة إلى الإيمان بالمستقبل الأفضل.

يقول أبو ريشة في قصيدة " أوغاريت ":

أنا من بقايا أمة هي والعلا من توأم

مرت على الدنيا مرور القطر بالحقل الظمي وتناقلت آيات رحمتها شفاه الأنجم ردت إلى مغناك عهد ربيعك المتصرم فإذا شممت الطيب فهو نثير ذاك الموسم [43]

يخاطب الشاعر في هذه الأبيات مدينة أوغاريت معرفاً بنفسه وبتاريخ أمته التي شعت حضارة ومجدا وعلوما وعلوا على الدنيا فأشرقت و أبهرت الدنيا بمنجزات صنعت تاريخ البشرية ليس بالعلم فقط ولكن بالرحمة والإنسانية فأعادت إلى مدينة أوغاريت السورية زمنا كانت فيه حاضرة الدنيا، فما لمحات الحضارة التي تراها في هذه الأوابد إلا بقايا من تلك الأمة العظيمة، فخرج الخبر عن مقتضاه إلى **الفخر** بتاريخ الأجداد ومنجزاتهم، فنلاحظ أنه مع استخدامه كلمة " بقايا " للدلالة على حالة الاضمحلال التي تعيشها الأمة إلا أنه جعلها توأم المجد التليد، فلما ولد المجد ولدت هذه الأمة.

فلا يسعنا ونحن نقرأ هذه الأبيات إلا نمتلأ فخرا واعتزازا بتاريخنا فتشتعل في دواخلنا الحماسة لإعادة هذا المجد القديم بالعمل الدؤوب و الإخلاص في طلب المعالي لنستحق هذا التاريخ وهذا الإرث الذي تركه أجدادنا.

أما في قصيدة " طلل " التي قالها عند صرح روماني قديم أعجبه شموخه ووقوفه في وجه تغييرات الزمن والمناخ وتعاقب الأيام فيقول:

لقد تعبت منه كف الدمار

وباتت تخاف أذى لمسه

هنا ينفض الوهم أشباحه

وينتحر الموت في يأسه[44]

إنه شموخ الحضارة الذي مازال رغم كل شيء واقفا ينافح عن وجوده، باعثا في نفس الزوال اليأس من اختفائه، فليس الموت بقادرٍ بعد الآن على أن يؤثر فيه، فكف الموت كلت وتكسرت معاوله دون فائدة، ووهم الزوال غادرت

[42]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 95

[43]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 122

[44]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 127

أشباحه تحت بريق سنا التاريخ والصمود، وعرف الموت أن كل محاولاته لمحو هذا الأثر ستبوء بالفشل فليس له سبيل إلا اليأس من المحاولة، وهنا خرج الخبر عن مقتضى الظاهر إلى **التيئيس**.

إن نفس شاعرٍ مثل أبي ريشة لا تستقر ولا تهدأ ولا تثبت على حال من الأحوال إلا وتتحول بعد فترة لما تراه وتعانيه وتحمله في داخلها، يقول أبو ريشة في قصيدة " حسبي " :

أنا ما حقدت على الشفاه

ولا عتبت على الأنامل

لك ما أردت فلن أغير

ما أردت ولن أحاول

إني رميت بمنجلي

وتركت للطير السنابل[45]

إنها حالة الاستسلام والخضوع التي يعيشها الشاعر وقد تركته بلا إرداة للمقاومة أو تغيير الواقع، فهو في حالة استسلام وخضوع للقدر الذي قاده لتلك الحالة، فهو الآن كالفلاح الذي استسلم عن مقارعة الطيور التي تخرب محصوله الذي تعب فيه طوال الموسم، فهو اسستلام صعب لأنه جاء بعد جهد وتعب طويلين، فلن يعاتب أو يحقد بل إنه سينحي كل مشاعره جانبا وسيلقي سلاحه ويستسلم دون قتال، وهنا خرج الخبر عن مقتضاه إلى **الاستسلام والخضوع**.

وللخبر إذا خرج عن مقتضاه أغراض أخرى مثل المدح ومثال ذلك قوله في قصيدته " بلادي" التي ألقيت في تابين سعد الله الجابري الحلبي: **تلك أيامه الخضيبة بالأرزاء**

كانت عرائس الأعياد

قارع البغي أعزل إلا

من سلاحين: نخوة واعتداد[46]

فسعد الله هو البطل الذي وقف في وجه ظلم المستعمر الأجنبي يجابهه دون سلاح إلا النخوة والحمية التي دفعته نحو الموت مبتسما والاعتداد بما يحمله في داخله من فخر بأنه يقول الحق لا يصمت أبدا مادام الباطل قائماً، فتحولت تلك الأيام العصيبة إلى أعياد مجدٍ تتغنى بها الأجيال جيلا بعد جيل. فخرج الخبر إلى **المدح والثناء** على شخصية البطل سعد الله الجابري.

الخاتمة:

جنح الشاعر إلى الأسلوب الخبري لإيصال الخبر الحقيقي دون زيادة أو نقصان ولكنه لم يقتصر على هذا الغرض فقد خرج الخبر عنده عن معناه الحقيقي ليحكي الحقيقة الماثلة في ذاكرته التاريخية، الحقيقة التي يتمناها لا التي حصل عليها. فقد وظف الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب ليحتمل الصدق والأمل، الأمل في تغيير الواقع المؤلم إلى واقع متأمَّل. فكان الخبر في أحيان كثيرة أشد وطأة من الإنشاء في الحث والأمر و النهي و الاستفهام والتعجب. فاللغة مملوكة للخاطر وخاطر شاعرنا فياض متدفق لا يتنقطع ولا ينضب.

[45]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 338

[46]أبو ريشة . عمر ، **ديوان عمر أبو ريشة** ، د.ط ، ص 455

فهرس المصادر والمراجع

Al-Quraan Kareem

1- Attunaji, Mohammad , Alasmar , Raji, Al Mua'jam Almufasal fee Auloum Al lougha, J1, D.ta (Lebanon : Dar Al Kutoub Alelmia, 1414 h, 1993 ma).

2- Al Jurjani, Abdulqader, Dala'el Alea'jaz, Ta1, (Alqaahra, Matba'at Almadani, Almua'ssa assoudia be Mesr, 1993 ma)

3-

4- Aljuaini, Mustafa assawee, Almaa'ni (Elm Alosloub) D.T, (Mesr, Dar Alma'refa Aljamea'ea, 1993ma)

5-

6- Haddad, Hanna, Mua 'jam shawahed annahou asha'reya, Dar Aloloum Lil teba'a wa annasher, Arreyadh, Ta1, 1984ma.

7-

8- Khalil, Atif, Tarkeeb Aljumla Alensha'ia, Ta1, Demashq : Dar Alfeker wateba'a, 1985ma)

9- Dewan omar abou reesha, D.Ta (Bayrout : Dar Alaoudah, 1998ma)

Assakaki, Abou Ya'qoub, Yousof ben mohammad ben Ali, Muftah Aloloum, Haqaqah wa Qaddam lahu wa fahrasahu : Dr. Abdulhamid Hindawe, Ta1, (Bayrout, Lenbanon : Dar Alkutoub Alelmia, 1420H, 2000ma)

Attaftanazi, Alallamah Saadedden Masaoud ben Omar, Almutawal sharh talkhees Aloloum, D.Ta, (Bayrout : Dar Alkotoub Alelmia, 1422h, 2001ma)

Qalqelah, Abdulazizi, Albalagha Alestelahia, Dar Alfeker Alarabi, Ta3 (Alqaahera, D.N, 1992ma)

Almaraghi, Ahmad Mustafa, Oloum Albalagha, D.Ta (Bayrout : Dar Al kotoub Alelmia, D.T)

Abn Manzoor, Mohammad ben Mukram, Lesan Alarab, Ta3 (Leabnon : da Ehyaa' Atturath Alarabic, Moa'ssasat Attareekh Alarabi, 1419h, 1999ma)

Abn Manzoor, Mohammad ben Mukram, Lesan Alarab, Tahqeeq yasser Sulaiman Majdi Assaeed, D.Ta (Alqaahera, Almaktaba Attawfeeqia, 1987ma)

Abn Manzoor Alafreeqi Almesri, Abou Alfadhel, Lesan Al arab, J15, Ta1 (bayrout : Dar sader, 1412h, 1992ma)

Nasseroddeen, Mahdi Mohammad, sharh Dewan Jareer, D.Ta (Bayrout : Dar Alkotoub Alelmia, D.T)

Haroon, Abdulsalam, Alsaleeb Alensha'ia fee Annahou Alarabi, Ta5 (Alqaahera : Maktabat alkhanji, 1421h, 2001ma)

Abn Ya'esh, Sharh Almufassal, D.Ta (Mesr: Dar Almatabi'a Almuneriah, D.t)